



## مقدمة



الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد..

فإن الإسلام يحرمّ الذل، ويكره أن يكون أتباعه إمعات؛ يعيشون في كنف المسكنة والخضوع.. وهو برىء ممن يتخشعون ويتذللون ويبالغون في التملق والمداهنة.

ولا ينكر الإسلام، أن يخاف المسلم، ويصبيه التردد والهلع، فهذا في طبع الإنسان وخلقته، ولا يستثنى منه أحدٌ حتى الأنبياء.. ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢١].. غير أنه ينكر أن يكون ذلك صفة واضحة في المسلم، يتميز بها، ويبني أفعاله وسلوكه عليها، فيتخلى -من ثم- عن مبادئه ومعتقداته، ويعطى العدو الفرصة في الاستعلاء عليه وبث الرهبة في صدره.. فالؤمن إن تردد في موقف؛ سرعان ما يللم نفسه، ويقوى ذاته، ويعود به إيمانه إلى حيث: الحق والقوة والحرية.

أما من يعطى الدنية من نفسه، ويبالغ في تصغير ذاته؛ فلا يستحق أن يُقام له وزن أو أن تكون له قيمة.. مر رجل على عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- وقد بالغ في الخضوع، فقال له: ألسنت مسلماً؟ قال:



بلى، قال: فارفع رأسك، وامدد عنقك، فإن الإسلام عزيز منيع.

وتحريم الإسلام للذل، نابعٌ من عقيدته، التي تمنع اللجوء لغير الله، أو سؤال أحد سواه، واليقين التام فى القضاء والقدر، وأن ما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الدنيا كلها لو اجتمعت للإنسان أو عليه؛ فلن تستطيع أن تقدم له شيئاً أو تؤخر عنه شيئاً إلا بإذن الله - سبحانه -، وفى هذا يقول النبي ﷺ: «من أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منى» [الطبرانى]، ويقول: «من جلس إلى غنى فتضعض عنده لينال مما فى يديه، فقد ذهب ثلثا دينه ودخل النار» [الطبرانى].

إن الاستعلاء بالإيمان، يضمن مجتمعاً سليماً من الآفات، قادراً على نصره الضعيف، وإدخال السرور على الحزين، والأخذ على يد الظالمين، والطغاة والفاستدين، رغم ما يصيب القائمين بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، من أذى وعت. . . لكنه الواجب الذى لا يكون المؤمن مؤمناً إلا به، يقول النبي ﷺ: «إن الناس إذا لم يأخذوا على يد الظالم، أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده» [الترمذى].

والاستعلاء بالإيمان، ليس معناه التعالى على الآخرين وظلمهم، إنما يعنى البذل والجهاد، والجهر بالحق، من أجل إنصاف الضعفاء



والمهضومين، فالمؤمنون لا يعرفون البغى، ولا العدوان، وإنما يضحون بأرواحهم وأموالهم لإسعاد الآخرين، ونصرة المظلومين، ودفع الأذى عن المستضعفين.. ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١]، والمسلم متواضع لإخوانه، ذليل معهم، لكنه نار حارقة مع أعداء الله، يطلب الموت كما يطلب غيره الحياة.. ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وفي هذا الكتاب ما يزيد على عشرين فصلاً، حول معاني الاستعلاء بالإيمان، بما يؤكد أننا أعزة بهذا الدين، أذلة إن التمسنا العزة في غيره.. وبما يؤكد أيضاً أن هذه الأمة هي -بالفعل- خير أمة أخرجت للناس؛ فما زالت -جيلاً وراء جيل- تقدم من أبنائها من يصطدم بالباطل، ويدوى صوته بالحق، غير خائف أو وجل.. حتى رأينا وسمعنا في أيامنا هذه من يردد قول خبيب:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى  
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزج

إن هذه صرخة لشباب ورجال الأمة، كى يحذروا التنازل والاستدراج، والسلبية والميوعة والخنوع، وأن يقوموا لله، أمرين

بالمعروف، ناهين عن المنكر، صادعين بالحق، لا يخافون في الله لومة لائم، رافعين شعار.. ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].. أملين أن يصلح الله بهم البشرية وأن يملأوا الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً..

الله أسأل أن يجعل هذا العمل لى، وألا يجعله على.. وأن ينفع به سائر المسلمين.. آمين، والحمد لله رب العالمين.

## عامر شماخ

القاهرة في:

جماد آخر ١٤٢٠هـ - يونيو ٢٠٠٩م

